RIMAK International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717-8293
Volume 5, Issue 3, May 2023

Received: 17/03/2023 **Accepted:** 09/04/2023 **Published:** 01/05/2023

SOCIOLOGY AND THE STUDY OF RELIGIOUS PHENOMENON: FATWA AS A SUBJECT FOR SOCIOLOGICAL RESEARCH

DJILANI-KOBIBI Maachou [1]
Prof. Dr., University of Mascara – Algeria
KHITER Sadia [2]
Researcher, University of Mascara – Algeria

Abstract:

The Fatwa has an important status in Islamic culture, because it connects the Sacred with the Praofane, and it frames the relationship between religion and religiosity on the one hand, and between religion and the social reality of believers on the other hand.

So the source of fatwa is heavenly, but its impact is social and earthly. Hence, this research paper aims to answer the following questions: How can Fatwa be addressed as a subject of sociological research? And what are the difficulties that the researcher faces while delving into this subject?.

Key Words: Religious Phenomenon; Fatwa; Sacred; Profane; Sociological Research.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.23.21

[1] m.djilanikobibi@univ-mascara.dz
[2] saadia.kheiter@univ-mascara.dz

علم الاجتماع ودراسة الظاهرة الدينية: الفتوى كموضوع للتقصي السوسيولوجي أنموذجاً

جيلاني كوبيبي معاشو

أ. د. ، جامعة مصطفى اسطمبولي – الجزائر

خيتر سعدية

الباحثة، جامعة مصطفى اسطمبولي – الجزائر

الملخص:

تمتلك الفتوى مكانة محورية في الظاهرة الدينية والثقافة الإسلامية، وذلك لكونها نقطة اتصال المقدس مع الدنيوي، وانطلاقاً من هنا تتم ملاحظة الفضاء الذي تشغله على اعتبارها تقع ضمن الحدود غير الثابتة والمتحركة التي تصل المقدس الإلهي بالدنيوي البشري. حيث أنها تؤطر العلاقة بين الدين والتدين من ناحية، وبين الدين والواقع الاجتماعي من ناحية أخرى، إذ أن التداخل بين هذه الثنائيات يظهر لنا بصفة ملحوظة في الحياة اليومية للفاعلين الاجتماعيين.

وبالتالي يمكن القول أن الفتوى وبالرغم من مصدرها السماوي، إلا أن تأثيرها اجتماعي بالدرجة الأولى، ومن هنا تهدف هذه الورقة البحثية إلى التطرق لمشروعية دراستها وفق عدة نظرية ومنهجية سوسيولوجية تلتزم بالحياد المنهجي من أجل تحليل وفهم كل الحيثيات المرتبطة بها. وذلك من خلال محاولة الإجابة على التساؤلين الآتيين: كيف يمكن التطرق للفتوى كموضوع للبحث السوسيولوجي؟ وما هي العوائق التي تواجه الباحث أثناء خوضه في هذا الموضوع؟ بالأخص لدى الأخذ بعين الاعتبار الأصل القداسي واللاهوتي لها من ناحية، والمتلقين لها من فاعلين اجتماعيين يمتازون بكل خصوصيات البشري الدنيوي من ناحية أخرى.

الكلمات المفتاحية: الظاهرة الدينية، الفتوى، المقدس، الدنيوي، البحث السوسيولوجي.

مقدمة:

تؤسس الظاهرة الدينية لواحد من أبرز حقول علم الاجتماع، وقد أثيرت حولها العديد من الإشكاليات المرتبطة عموماً بمسألة العلاقة بين الثلاثية: دين- أفراد- مجتمع. وبالرغم من وجود سوسيولوجيين يرون أفول الظاهرة الدينية، وتراجع تأثير الدين في المجتمعات الحديثة، نتيجة للتقدم العلمي والعلمانية، هناك اتجاه آخر يتحدث عن عودة الدين لمسرح الحياة الاجتماعية.

حيث أن الرعيل الأول من رواد السوسيولوجيا كان يتوقع أن تصل البشرية إلى مرحلة تاريخية يحكم فيها العقل كل مجالات الواقع الاجتماعي مقابل التخلي عن المعتقدات الدينية والميتافيزيقية، ويكفي إلقاء نظرة فاحصة على مؤلفات كل من دوركايم، ماركس، فيبر وغيرهم للتأكد من ذلك. ولكن التطورات الحاصلة بعد ذلك واقعياً جعلت المتخصصين في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، والسوسيولوجيين بصفة أكثر تحديداً يعدلون عن فكرة أفول الدين، لوجود مؤشرات ملحوظة تدل على رجوعه إلى الحياة الاجتماعية، ولكن بطريقة أخرى متمايزة عما كان معروفاً في السابق.

نفس الأمر ينطبق على المجتمع الجزائري، حيث بدأ فيه الاهتمام بالظاهرة الدينية منذ العهد الاستعماري، أين وظفت السلطات الفرنسية المحتلة سابقاً مجهودات الباحثين الفرنسيين المختصين في علم الاجتماع والأنتروبولوجيا في معرفة العلاقة بين الدين الإسلامي والمجتمع، انطلاقاً من التطرق لما يعرف بالدين المجسد على حسب تعبير بيرك BERQUE والمتعلق أساساً بالدين الشعبي الممارس يومياً من طرف الفاعلين الاجتماعيين، والمتمحور حول المعتقدات والممارسات الطرقية أكثر من الاهتمام بالدين العارف الناتج عن الفقه والاجتهاد في الفتاوى والنوازل.

أما بعد الاستقلال في المرحلة التي تلت التخلص من الكولونيالية، فقد اهتم الرعيل الأول من السوسيولوجيين الجزائريين بظواهر وقضايا يحتل الدين فيها مكانة هامشية، حيث سعوا إلى تفسير وفهم ما يرتبط بالتحولات الاقتصادية التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال، وما نتج عنها من تغيرات في بنية المجتمع وثقافته، وخصوصاً تلك المرتبطة بمحاولات تحقيق الحراك الاجتماعي والمهني لدى الأفراد وهجرتهم من الأرياف على المدن بحثاً عن تحقيق طموحاتهم من خلال الوصول إلى نوع من الحراك المهني الصاعد لتحسين وضعياتهم نحو الأفضل خلافاً لما كان متواجداً لدى جيل المربين لهم وأصولهم الاجتماعية المختلفة. ليظهر الاهتمام بالدين في آخر المطاف بعد انتشار أفكار الإسلام السياسي بين الفاعلين الاجتماعيين إثر نجاح الثورة الإيرانية الذي يعتبر عاملاً مؤثراً بدرجة ملحوظة في العلاقة بالدين لاحقاً في المجتمعات الإسلامية بصفة عامة.

ولا تزال الظاهرة الدينية تشكل هاجساً سوسيولوجيا، نتيجة للمرحلة التي مرت بها الجزائر والمرتبطة بالإسلام السياسي والعنف الناتج عنه من جهة، والمؤشرات النابعة من الملاحظات الميدانية الدقيقة من جهة أخرى. والتي مفادها أنّ الدين ما يزال حياً ومؤثراً في الواقع اليومي المعيش للفاعلين الاجتماعيين، بالرغم من التحولات التي يعرفها المجتمع، وبالرغم من وجود مؤشرات أخرى تحيل إلى ديناميكية مرتبطة بمكانة الدين وسلطته الضابطة اجتماعياً، وأنه يخترق يومياً من طرف المؤمنين به الذين ينتجون أفعالاً متعارضة معه. إذا يمكن ملاحظة أن أغلب الدراسات السوسيولوجية تشتغل حول الإسلام السياسي، التصوف، الإسلام اليومي كما هو ممارس في المجتمع، ولكن هناك فراغ يتعلق بالتطرق لمتغير آخر من المتغيرات الأساسية في الدين الإسلامي والمتمثل في الفتوى، حيث تشح الدراسات

المتخصصة في علم الاجتماع المتطرقة لها بالبحث والتمحيص، وهو ما دفعنا للخوض في غمار التنقيب حولها وبالأخص في ظل التحولات التي تعرفها في الواقع الراهن، ومنه يمكن طرح التساؤلات التالية:

- كيف يمكن أن نجعل من الفتوى موضوعاً للدراسات السوسيولوجية العقلانية؟ وخاصة أنها تعد من الطابوهات التي يمنع الاقتراب منها، كونها جزء أساسي من الدين الذي يتميز بكونه محاطاً بسياج من الرهبة والقدسية في تصورات وتمثلات المعتقدين فيه.

- وكيف للباحث الاجتماعي أن يتصف بالحيادية والموضوعية وأن يتحرر من الأحكام القيمية والذاتية التي يمكن أن تحول دون الوصول إلى دراسة ميدانية وتحليل سوسيولوجي عميق للفتوى؟ وما هي سبل تجاوز العوائق التي تقف في طريق البحث السوسيولوجي للفتوى؟

1- مشروعية الدراسة السوسيولوجية للفتوى:

قبل الخوض في غمار هذه المسألة ينبغي منهجيا التطرق لحيثية في غاية الأهمية والمتمثلة أساساً في توضيح ماهية ومجال علم الاجتماع الديني أو سوسيولوجيا الدين، والتي يمكن تعريفها بأنها: **"الدراسة الاجتماعية للأديان، والتي ترد الظاهرة الدينية إلى أسسها الاجتماعية. فالدين ظاهرة اجتماعية، والمؤسسات الدينية جزء من المجتمع، والدين ينبع من المجتمع والمجتمع يفرز الدين."** (منصور،أ.2010: 08) ومن هنا التركيز أثناء الدراسة السوسيولوجية للظاهرة الدينية على العلاقة التأثيرية المتبادلة بينها وبين المجتمع محل الدراسة. وذلك باعتبار أنّ الدين مهما كان مصدره إلهياً قدسياً فإنّ من يطبقونه ويفسرونه ويحاورونه هم فاعلون اجتماعيون متأثرون بثقافاتهم، بيئاتهم المحلية ومتطلباتهم. وبهذا فالدين أساساً يتجلى فيما هو اجتماعي.

وقد ظهرت الدراسات السوسيولوجية للظاهرة الدينية في المجتمعات الغربية كضرورة ابستيمولوجية واجتماعية ملحة مثلها مثل علم الاجتماع ككل، إثر تغير البنيات الاجتماعية، والعلاقات المؤسسية التي تحكم الواقع المعيش، المتحول من إطار الجماعة المحلية وأهمية الدين والقرابة في تأسيسه، إلى المجتمع الحديث بالمفهوم التونيزي بما يحكمه من أسس التعاقد، الكفاءة والبراغماتية، وتأثير كل هذا على الرابط الاجتماعي ومختلف الأنظمة. وكان هذا التحول نتيجة ظروف تاريخية إثر الثورات الكبرى التي عرفتها هذه المجتمعات، ومن هنا نلمس درجة الوعي بأهمية الدراسات الاجتماعية في المجتمعات التي أنتجتها.

وفي مقابل هذا وبالرغم من إرجاع العديدين تأسيس علم الاجتماع إلى عبد الرحمن ابن خلدون، إلاّ أنّ هذا العلم ظهر في المنطقة المغاربية عموماً والجزائر بصفة خاصة نتيجة مقتضيات استعمارية وخدمة لها، في إطار ما يعرف بالسوسيولوجيا الكولونيالية، التي هدفت في جزء كبير منها لمعرفة العلاقات التي تحكم المجتمع الجزائري بغرض فرض السيطرة والهيمنة عليه. وفي هذا الإطار نجد أنّ الدراسات الكولونيالية المتناولة للظاهرة الدينية لم تهتم بجوهر الدين في حد ذاته، وإنما اهتمت بتجلياته الاجتماعية، ومكانته في تسيير المجتمع خدمة للهدف المذكور سابقاً. وهذا ما انعكس في المراحل التي تلت الاستقلال على مشروعية الممارسة السوسيولوجية عامة وسوسيولوجيا الدين بصفة أدق، كعلم تعود بدايات ظهوره أكاديمياً إلى الأهداف الكولونيالية، ومن هنا يرى العديد من الفاعلين الاجتماعيين ضرورة تجاوزه لكونه لا يخدم أهداف المجتمع الجزائري، كما أنه يعتبر حسب تصوراتهم مجرد ثرثرات لا فائدة ملموسة منها.

وانطلاقاً مما سبق يتضح أنّ أول عائق أمام الدراسات السوسيولوجية عامة، وسوسيولوجيا الدين خاصة هو عائق مشروعية هذه الممارسة البحثية العلمية في حد ذاتها في تصورات أفراد المجتمع، وبصفة أدق ما يتعلق بدراسة المجال الديني القداسي. إذ أنّ هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين يرمون المشتغل المتخصص في هذا الحقل بمجموعة اتهامات، وفي مقدمتها: أنه يهدف لإبعاد الدين عن الحياة الاجتماعية من خلال المساس بقداسته وتدنيسه، الذي يكون نتيجة تعاطيه مع المقدس بطرق نسبية تمس اطلاقيته. هذه الممارسة التي يحاول فيها الباحث أن **"يطرح السؤال بأقصى ما يمكن من الدقة والتحديد، ثم يجمع البيانات والوقائع اللازمة، ويحللها قبل الخلوص إلى أية نتائج"** (غدنز،أ.2005: 667) ومن هنا يطرح تأثير هذه التصورات الموجودة في المخيال الجماعي للفاعلين على البحوث الميدانية التي تشكل جزءاً من غير الممكن التخلي عنه في الدراسات السوسيولوجية للظاهرة الدينية.

من ناحية أخرى، وبالرجوع إلى علاقة الدين بالمجتمع، نجد أن الفتوى وبالرغم من مصادرها المرتبطة بالمقدس، إلا إنها موجهة بالدرجة الأولى لتأطير وتوجيه الدنيوي الواقعي، حيث ظهرت منذ العصر الذي تواجد فيه الرسول محمد (ص) كشخصية كاريزماتية، إذ تثبت العديد من الدراسات أن الفتوى ظهرت مع الدعوة الإسلامية، وبالرغم من أن مصدرها في ذلك الوقت الوحي إضافة إلى السنة النبوية إلا أنها كانت موجهة بالأساس للإجابة على الأسئلة المطروحة والخاصة بكل نواحي الواقع الاجتماعي.

ومن خلال ملاحظة تاريخية الفتوى ومختلف المراحل التي مرت بها منذ ظهورها إلى ما تعرفه من تعدد وتنوع وحتى "فوضى" اليوم نجد أنها دائمة الوصل بين المقدس والدنيوي، وأنها موجهة باستمرار نحو تأطير معتقدات وممارسات المؤمنين وحتى علاقاتهم مع غير المؤمنين ومن هنا تأتي مشروعية البحث فيها وفق طرق منهجية سوسيولوجية دنيوية، لكونها تتجسد فيما هو اجتماعي وتخاطبه وتوجهه باستمرار.

2- العوائق النظرية المواجهة للباحث أثناء دراسة الفتوى:

يعتبر الجانب النظري في البحث السوسيولوجي مطلباً ملحاً، ومسألة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها من أجل فهم أي ظاهرة اجتماعية كانت، وحتى تلك الدينية أو المتعلقة بالحقل الديني إذ " **يجهد كثير من علماء الاجتماع في الإجابة عن أسئلة إمبريقية ميدانيا، غير أنّ هذا الجهد قد لا يكون كثير الفائدة إذا اقتصر على الجانب الوصفي، سواء اتخذ الطابع الوصفي أو الإحصائي، إلا إذا كان يستند إلى بعض المعرفة النظرية"** (غدنز،أ.2005: 668)

فالمقاربة النظرية المتبناة في تحليل ظاهرة سوسيولوجية معينة تمكننا من تكوين تصور علمي للموضوع من حيث كونها **"مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها"** (انجرس،م.2004: 54) حسب التعريف المقترح من طرف موريس أنجرس.

وقد تعددت المقاربات والنظريات المفسرة للظاهرة الدينية انطلاقاً من كلاسيكيات علم الاجتماع، أو ما أنتجه الرواد والمؤسسون الأوائل لهذا العلم. إذ لا نجد دراسات أي منهم تخلو من التطرق لمسألة الدين والمجتمع، سواء من ناحية وظيفة الدين في التكامل والتضامن بين الأفراد المكونين للنظام الاجتماعي العام، والحفاظ على الرابط الاجتماعي بينهم كما هو الحال بالنسبة للمدرسة الفرنسية إجمالاً، والدوركايمية بصفة أدق. أو من خلال دوره في عملية الصراع

الاجتماعي بين الطبقات، ووظيفته في أن يكون أفيوناً للشعوب، أو محركا لثورتها كما هو الأمر في الماركسية. أو من خلال دراسة علاقته بالنظام الاقتصادي للمؤمنين به كما هو الحال بالنسبة للفيبيرية. وغير ذلك من الأطر النظرية المتطرقة للمسألة الدينية كنتاجات دو توكفيل، تونيز، سيمل.....

ولكن الملاحظ أنّ هذه النظريات المؤسسة ارتبطت إجمالا بواقع ديني يغاير في طبيعته ذاك الموجود في المجتمع الجزائري. فالدين المسيحي هو دين توحيدي من حيث التصنيف مثله في ذلك مثل الإسلام، ولكنه كمؤسسة اجتماعية يختلف عنه. إذ أنّ النظريات الكبرى اشتغلت على الدين المسيحي تحديداً وهو دين مؤسساتي، حيث يمكن الفصل أو الجمع فيه بين كل من المجتمع والكنيسة وليس في ذلك مساس بالدين في حد ذاته. وهذا ما يختلف في حالة الإسلام إذ لا يمكن الفصل بين المجتمع والدين الإسلامي، لاحتوائه على تشريعات وقواعد توجه المجتمع ككل. كما أنّ المؤسسات الدينية الموجودة فيه سواء مسجد أو زاوية ليست مؤسسات دينية محضة فقط، بل تتجاوز ذلك إلى وظائف اجتماعية، اقتصادية، ثقافية وحتى سياسية، كما أنها توجه بالأساس من خلال مفتين يقومون على مسألة الإفتاء في المجتمع بغرض الحفاظ على علاقة أفراده بمعتقدهم الديني.

وبالتالي فالأطر النظرية الناتجة عن النظريات الكبرى قابلة للعمل بها أثناء البحث السوسيولوجي في المجال الديني، ولكن في الجزئيات ذات السمات المشتركة مع النظام العقائدي والطقوسي الذي نتجت عنه، أما غير ذلك فليس قابلاً للإسقاط التعسفي على واقع ديني مغاير. ومن هنا تتأتى العوائق المطروحة من الناحية النظرية، والتي ينبغي التفكير بجدية في حلول للخروج منها وتجاوزها، من أجل إنتاج معرفة سوسيولوجية متوافقة مع الواقع المنتج لها.

حيث أنّ دراسة ظاهرة الفتوى بكل ما تعرفه في الوقت الراهن من تحولات وتطورات تستدعي التمعن والتروي في توظيف النظريات السوسيولوجية بغرض فهم حيثياتها والمؤشرات المحيطة بها دون أي إسقاط تعسفي يحول دون فهم وتفسير الظاهرة بطريقة موضوعية من ناحية، أو التوغل في الذاتية على حساب الحياد المنهجي من ناحية أخرى.

3- العوائق المنهجية:

التحول الذي عرفه المجتمع الجزائري من الجماعة المحلية التقليدية إلى المجتمع بالمعنى التونيزي، واستمرار وجود الفتوى في تأطير علاقات المجتمع حتى بمعناه الحديث، وحتى بعد الظروف التاريخية التي مر بها يوحي بنا إلى ضرورة دراسة التحولات الطارئة على هذه الظاهرة، بالإضافة إلى ميكانيزمات استمراريتها في ظل واقع اجتماعي تحكمه خصائص التعاقد، البراغماتية والكفاءة قبل أي اعتبار آخر. وهذا يتطلب منهجية خاصة للوصول إلى فهم عميق للظاهرة. ولكن المفارقة تظهر حين تصبح هذه المنهجية في حد ذاتها عائقا أمام البحث السوسيولوجي، بدل أن تكون مفتاحا موجها له.

بداية سيتم التعريج والتركيز على العوائق المنهجية المستقاة من التأسيس الدوركايمي لهذا العلم، لما له من قيمة معرفية ومؤسِسة في السوسيولوجيا إلى يومنا هذا. وذلك انطلاقاً من مسألتين مركزيتين تتمثلان في: تشيئة الظاهرة المدروسة، وأنّ المجتمع هو مصدر كل الظواهر الاجتماعية. وما ينتج عن هاتين النقطتين من محايثات منهجية أخرى، وهذا ما ركز عليه دوركايم في مؤلفه المرجعي في قواعد علم الاجتماع.

فأثناء التعامل مع أية ظاهرة اجتماعية عموماً، أو دينية يكون من منطلق أنها شيء منفصل ومستقل عن باقي الفاعلين الاجتماعيين المكونين للنسق الكلي، ومنفصلة عن الباحثين في حد ذاتهم. من خلال تشبيهها والتعامل معها كالموضوعات الموجودة في العلوم الطبيعية. بغض النظر عن كون المشتغلين في دراستها يمثلون جزءاً منها ومن الواقع الاجتماعي الكلي. وهذا خدمة لما يصطلح عليه بالموضوعية في الدرجة الأولى. فالتحليل السوسيولوجي يقتضي قبول هذه الحيثية والتصرف على أساسها، دون أي استعمال أو توظيف للجانب الذاتي للباحث. وهذا ما يشكل عائقاً أساسياً أمام المشتغل في الحقل السوسيولوجي الديني. إذ أنه من مقتضيات الدين الأساسية: الذاتية، في حين أنّ الباحث مطالب بالموضوعية أثناء معالجته للظاهرة الدينية بصفة عامة، والفتوى بصفة خاصة، ومحاولة الابتعاد عن كل ما هو ذاتي ويمكن أن يؤثر على فهمه لموضوع دراسته.

ومن ناحية أخرى نجد ضرورة العمل بمسألة لا تقل أهمية، والمتمثلة في كون المجتمع هو الرحم والمنبع الأول لكل الظواهر الاجتماعية بما فيها الدينية، وكمثال على ذلك نجد أنّ دوركايم يرى من خلال دراسته الشهيرة للأشكال الأولية للحياة الدينية: أنّ تقديس الفاعلين الاجتماعيين لطوطم قبيلتهم يعبر ويعني بطريقة ضمنية تقديسهم لجماعتهم أو مجتمعهم المولد لهذا المقدس، باعتباره (المجتمع) أكثر قوة وأهمية من الأفراد ومن الطوطم في حد ذاته. فالمقدس أو **"الأشياء المقدسة هي تلك التي قام المجتمع نفسه بإعدادها، بينما الأشياء الدنيوية هي تلك التي يشكلها كل واحد منا بواسطة معطيات مشاعره وخبرته"** (هيرفيه-ليجيه،د. ويلام،ج،ب.2005: 204)

الملاحظ هنا أنّ كل هذه المسلمات تتعارض مع المعتقد الإسلامي، الذي يرى المؤمنون به أنه دين سماوي في مصدره ومنشئه، وأنه يوجه نظرتهم للكون، ويجيب على أسئلتهم الوجودية. ومن هنا يظهر عائق منهجي آخر متمثل في كيفية التعامل مع ظاهرة دينية ذات مصدر إلهي، على أنها نتاج المجتمع لا أكثر ولا أقل، وأنّ المجتمع هو صاحب السلطة عليها والمتحكم فيها، بل والأكثر أهمية منها.

ويترتب عن هذا العائق مجموعة صعوبات أخرى تتجلى أغلبها حول إمكانية النقد، إذ أنّ البحث العلمي يتسم بضرورة تقبل النقد، والمرفوض تماماً من قبل المعتقد الديني الذي يصنف الفاعلين إلى منتمين إلى مجال الاعتقاد أو اللا اعتقاد، ولا يعترف بأي تصنيف غير ذلك.

4- سبل التجاوز:

تتمثل هذه السبل في مجموعة من المقترحات التي تخدم البحث السوسيولوجي عامة، وذاك المرتبط بالظاهرة الدينية بصفة أخص، والمتمثلة أساساً في النقاط التالية:

- محاولة المساهمة في التنظير المعرفي للظاهرة الدينية عامة والفتوى بصفة خاصة انطلاقاً من خصائص الواقع الاجتماعي المحلي، وليس الإسقاط التعسفي لكل حيثيات النظريات الكبرى عليه. فانتقاد هذه النظريات السوسيولوجية بناءً على معطيات ميدانية محلية يساهم في عملية التنظير وإعادة التنظير وفق ما يتماشى ومقتضيات المجتمع الجزائري. هذا لا يعني رفض تلك النظريات، لأنها موجهة لدراسة البشر في مختلف المجتمعات، ولكن التمعن في الاعتماد على مؤشرات مستوحاة من الواقع المحلي بما يحمله من خصوصيات.

- التركيز على المناهج الكيفية أثناء دراسة الفتوى أكثر من المناهج الكمية، لأنّ قراءتها رقمياً أو رياضياً لا تساعد على استيعابها، أو الحصول على معطيات تتسم نوعا ما بالمصداقية لفهمها كتلك المستقاة من المقابلات مثلاً، والتي تكون فيها المداخل متعددة ومرنة، مع تدعيمها بالملاحظات.

- تقبل ضرورة التعاطي مع الفتوى بصفة علمية وموضوعية كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى، مع العلم أنّ ذلك لا يعني تدنيس المقدس، بل على العكس من ذلك. إذ أنّ توفير فهم عميق للمسألة وللواقع الاجتماعي يمكن أن يساهم في التأسيس للتجديد الديني في الفتاوى والفقه اللذان من شروط الاشتغال بهما توفر معرفة جيدة بالثقافة والواقع الاجتماعي.

- ضرورة التمييز بين الدين كجوهر، والفتوى كممارسات اجتماعية تهدف لتأطير وتوجيه المؤمنين، وهي ضرورة منهجية في غاية الأهمية. إذ أنّ الدين في حد ذاته لا تعنى به الدراسات السوسيولوجية، بل يوجد حقول أخرى تشتغل عليه. ولكن ما يهم التحليل الاجتماعي هو التجليات الاجتماعية لهذا الدين في المجتمع، وعلاقته بالأفراد والأنساق من خلال الفتوى التي تعتبر أفضل مترجم لذلك.

خاتمة:

يمكن القول في الأخير أنّ الحيثيات المذكورة في الورقة كانت بمثابة ملاحظات واقتراحات متعلقة بالبحث السوسيولوجي العلمي لظاهرة الفتوى، بغية المساهمة في تجاوز العوائق والمشكلات البحثية المرتبطة بعلم الاجتماع في المجتمع الجزائري. الذي صار مطلباً أساسياً لفهم التحولات العميقة التي تمس هذا المجتمع في مختلف المجالات، وعلى رأسها الظاهرة الدينية.

المراجع:

انجرس، موريس (2004) *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية*، ت: بوزيد صحراوي وآخرون: دار القصبة.

غدنز، أنتوني (2005) *علم الاجتماع*، ت: فايز الصياغ: مركز دراسات الوحدة العربية.

منصور، أشرف (2010) *الرمز والوعي الجمعي- دراسات في سوسيولوجيا الأديان*، ط 01: رؤية للنشر والتوزيع

هيرفيه- ليجيه، دانيال. ويلام، جان بول (2005) *سوسيولوجيا الدين*، ت: درويش الحلوجي، ط01: المجلس الأعلى للثقافة.

جابلي، عيسى (2016) *حوار مع الباحثة زهية جويرو: الفتوى سلعة يحكمها قانون العرض والطلب*، في: صناعة الفتوى، ص.ص: 117-120: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

Berque, Jacques (1955). Structures sociales du Haut Atlas:PUF.